العرب
الثلاثاء 2021/08/17
السنة 44 العدد 12151

العرب

أيّ هزيمة أميركية في أفغانستان؟

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

انتصار طالبان العسكري بات كاملاً مع انهيار القوّات الحكوميّة الأفغانية في غياب الدعم الأميركي. ولا يمكن وصف ما حدث إلا بالهزيمة المدوية للولايات المتحدة التي تجد نفسها بعد حوالي العقدين من الزمن تغادر البلاد، وقد تكبدت فيها خسائر فادحة بلغت أكثر من 2300 قتيل ونحو 20660 مصابا بين جنودها مع جملة إنفاق عسكري ناهزت حتى سبتمبر 2019 حوالي 778 مليار دولار، إضافة إلى إخفاقات الوكالات الحكومية الأميركية المشرفة على مشاريع إعادة الإعمار وعلى تأمين القاعدة الخلفية بباكستان.

لقد فشلت واشنطن في أفغانستان، وانتهت إلى البحث عن منفذ للفرار المخزي، بينما سيعود ظلام التطرف ليطمس كل نقاط الضوء التي حاولت أن تقاوم من أجل حياة أفضل في بلد كان للغرب وحلفائه دور بارز في الوصول به إلى ما هو عليه اليوم، عندما تم إذكاء فكرة الجهاد باسم الدين لتحريك النعرات القبلية والعرقية في معركة التصدي للاتحاد السوفييتي قبل انهياره، وذلك من خلال تشكيل صورة الإرهاب كما انتشرت لاحقا واتسعت دائرتها لتتحول إلى ظاهرة عابرة للحدود والقارات تستهدف حتى الدول التي كانت سببا في انتشارها.

كانت بداية المأساة بانقلاب عام 1973، عندما أطاح سردار محمد داود خان حليف السوفييت بالنظام الملكي الأفغاني، وبدأ يرسي سياسات تقدمية ولاسيما في مجال الدفاع عن حرية المرأة وإطلاق خطتين خماسيتين للتنمية زادتا من حجم القوة العاملة في البلاد بنسبة 50 في المئة، لكن قمعه للمعارضة مقابل محاباته لأقاربه أنهى حكمه وحياته بالاغتيال في 1978 عندما ثار عليه شيوعيو الحزب الديمقراطي الشعبي الأفغاني، وتداول على حكم البلاد عبدالقادر دكروال ثم نور محمد تركي ثم حفيظ الله أمين ثم بابراك كارمل فمحمد نجيب الله الذي عُلّق يوم الثامن والعشرين من سبتمبر 1996 في إحدى الساحات العامة وسط كابول حيث لقي حتفه هناك شنقا، ويقال إنه قُتل رميا بالرصاص من قبل طالبان، وأما سكرتيره الخاص وحراسه فتم إعدامهم في اليوم التالي.

لقد كان التدخل السوفييتي في أواخر ديسمبر 1979 لتشكيل ملامح النظام الموالي له كافيا لتتحرك الولايات المتحدة بكل قوة عبر تمويل المتمردين المحليين، ولتدعو حلفاءها للمشاركة في تحويل التمرد إلى حرب تحرير ترفع شعارات الجهاد، كانت واشنطن منذ بداية السبعينات قد أصدرت تعليماتها للدول الإسلامية، وبخاصة العربية منها، إلى إطلاق مشروع الدعوة والجهاد ضد التيارات الشيوعية والقومية وتحويل الدين إلى أداة متقدمة في الحرب الباردة ضد المعسكر الاشتراكي.

بعد انسحاب السوفييت في العام 1989 انتظم المجاهدون الذين كانوا قد اكتسبوا القوة والمال، في أحزاب سياسية مختلفة ووجدوا دعما كبيرا من قبل دول مختلفة، وتحولت البلاد إلى نقطة جذب للمجاهدين ممن أغرتهم فكرة إقامة أنظمة إسلامية في بلدانهم، ولمن كانوا جاهزين للدوران في فلك مختلف أجهزة المخابرات ولاسيما الغربية منها، لكن لا أحد كان يهتم بمصير أفغانستان ذاتها، ولا بما ينتظر شعبها من ويلات جديدة.

سمحت حالة الفوضى لطالبان التي أعلنت عن نفسها رسميا في العام 1994 بالاستيلاء على السلطة في كابول، وبالسيطرة على كامل البلاد في العام 1998، وأعطتها فرصة الحكم وفق تفسيرات للدين تنسجم مع عصبية العرق والقبيلة، ولا تأبه بالمجتمع الدولي وحقوق الإنسان، فقد كانت الحركة حالة ثقافية محلية لبست لبوس الإسلام، وتحركت تحت ظلال البنادق لتفرض نمطها المجتمعي على جميع الأفغان باختلاف أعراقهم ومذاهبهم وطوائفهم ومناطقهم، وتحولت إلى مصدر إلهام للآلاف من الشباب المتمرّدين على العصر، والراغبين في استعادة التاريخ برؤية سلفية خالصة تم تطعيمها بفكرة الجهاد لتكتمل صورة الصحوة التي انفلتت من عقال داعميها الأصليين لتتحول إلى ظاهرة الجهاد العالمي أو ما بات يعرف بالإرهاب الدولي.

الولايات المتحدة لم تهزم فقط كقوة عسكرية في أفغانستان بل كرمز لحضارة العالم الحر ولثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيكون عليها تذكر الدرس الأفغاني كلما قادتها أطماعها إلى التفكير في مغامرة جديدة

كانت أفغانستان منطلق تأسيس تنظيم القاعدة على يد عبدالله عزام وأسامة بن لادن في العام 1988 كامتداد لمكتب الخدمات ببيشاور الذي تأسس قبل أربع سنوات وكانت واشنطن ترعاه، وفسحت له أبواب تجنيد المتطوعين حتى على الأراضي الأميركية، وفي العام 1990 اكتشف مكتب التحقيقات الفيدرالي لدى مداهمته لأحد المقار في نيوجرسي الكثير من الأدلة على المخططات الإرهابية، بما في ذلك مخطط لتفجير ناطحات سحاب في مدينة نيويورك تم تنفيذه بالفعل في سبتمبر 2001.

في العام 1996 أعلن تنظيم القاعدة الجهاد لطرد القوات والمصالح الأجنبية من الأراضي الإسلامية. وأصدر بن لادن فتوى اعتبرت نفيرا عاما للحرب ضد الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها، وبدأ في تركيز موارد القاعدة لمهاجمة الولايات المتحدة ومصالحها. ففي الخامس والعشرين من يونيو 1996 تم تفجير أبراج الخبر بالمملكة العربية السعودية مما أسفر عن مقتل 19 جنديا أميركيا. وفي الثالث والعشرين من فبراير 1998 شارك أسامة بن لادن وأيمن الظواهري زعيم الجهاد الإسلامي المصري إلى جانب ثلاثة آخرين من الزعماء الإسلاميين في توقيع وإصدار فتوى تحت اسم الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين.

كانت أفغانستان قد تحولت إلى عاصمة للإرهاب الدولي يقودها نظام لا يحظى باعتراف أغلب الدول، وكانت ضربات القاعدة قد انتشرت في الكثير من مناطق العالم، وأصبحت تمثل تهديدا جديا لمصالح الولايات المتحدة، ولاسيما في الشرق الأوسط وغرب وشمال أفريقيا، وفي داخل القارة الأميركية ذاتها، وكان واضحا أن العقوبات الاقتصادية لا ترهب نظام طالبان، كما أن فكر القاعدة بدأ في الانتشار على نطاق واسع، وعندما تم تنفيذ تفجيرات نيويورك التي مثلت طعنة في صميم كبرياء الأميركيين، قررت واشنطن الحرب التي ستستمر 20 عاما.

استعملت الولايات المتحدة كل إمكانياتها العسكرية والأمنية والمالية والسياسية والإعلامية وحتى السينمائية والفنية في معركتها في أفغانستان لتضطر أخيرا للمغادرة، تاركة لجماعة طالبان الجمل بما حمل، وكأنها تؤكد بذلك أن القوة العسكرية قد تسقط نظاما ولكنها لا تنهي فكرة كان يقوم عليها، وأن التدمير ممكن لكن إعادة البناء الحقيقي تبقى أمرا صعبا، وربما مستحيلا، وأن إعادة تشكيل ثقافات الشعوب وفق الإرادة الغربية غير ممكنة ما لم تكن مستندة إلى رغبة من داخل الشعوب والمجتمعات المستهدفة، يكفي أن مسلحي البشتون البسطاء هزموا المشروع الأميركي بكل جبروته، ودفعوا بالولايات المتحدة إلى الانسحاب مكرهة، واليوم يتقدمون للسيطرة من جديد على البلاد بأكملها.

سيكون من الصعب حصر الثغرات والأخطاء التي صاحبت الوجود الأميركي في أفغانستان، لكن المؤكد أن وهم الديمقراطية الغربية لم يكن منسجما مع طبيعة المجتمع الأفغاني، وبناء أجهزة الدولة خلال السنوات الماضية لم يكن حرفيا ولا جديا وإنما كان مجالا لممارسة الفساد بأدوات السيد الأبيض خارج بلاده، كما أن التغيير الحقيقي الذي يتعلق بالتعليم والثقافة والإعلام وببناء العقل الديمقراطي لم يتحقق، وبقي التركيز على العاصمة كابول عنوانا لفشل انهارت أمامه جميع الأوهام.

لم تهزم الولايات المتحدة فقط كقوة عسكرية في أفغانستان، ولكن كذلك كرمز لحضارة العالم الحر ولثقافة الديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، وسيكون عليها تذكر الدرس الأفغاني كلما قادتها أطماعها إلى مجرد التفكير في مغامرة جديدة خارج حدودها.

وجوه مستهلكة تحول دون شباب المغرب والعمل السياسي

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

أصبح الحديث عن اعتماد العناصر الشابة داخل الأحزاب السياسية المغربية ترفا وخطابا مناسباتيا لا يتعدى الورقة المكتوب عليها للاستهلاك الإعلامي، دون تفعيله بالشكل الذي يبين القيمة الحقيقية للشباب ودورهم في أي عملية سياسية وما يمكن أن يقدمه الشباب إذا تم تداول حقيقي للمسؤوليات داخل التنظيمات السياسية.

الأسماء التي طرحتها جل الأحزاب السياسية للتنافس على مقاعد مجلس النواب والمجالس المحلية في الانتخابات التشريعية والمحلية المقبلة مستهلكة، فكيف يعقل أن حزبا كالاتحاد الاشتراكي لا يجد بديلا عن "قيدوم" البرلمانيين أو شيخهم عبدالواحد الراضي وتقديمه للمرة العاشرة للانتخابات التشريعية وهو يطل على عقده التاسع؟ وكيف لحزب العدالة والتنمية الذي رفع شعار الاعتماد على العناصر الشابة أن يقدم أسماء سبق لها الترشح لست أو سبع مرات وعلى رأسها الأمين العام للحزب سعدالدين العثماني الذي ترشح مجددا؟

تزكية نفس الوجوه للاستحقاقات التشريعية والمحلية أضحت لازمة لدى كل الأحزاب، الشيء الذي يضيع فرص الاستفادة من طاقات الشباب وحيويتهم وأفكارهم نظرا لمعرفتهم بما يعتمل بالمجتمع من تحديات وتغيرات، وفي المقابل تكشف عن تجاهل قيادات تلك الأحزاب للخيارات التي سلكتها الدولة في تحصين العملية الديمقراطية وإعطاء فرصة للشباب للتعبير عن أنفسهم وتطلعاتهم من خلال المؤسسات الحزبية.

هل نحن أمام حالة عقم داخل هذه الأحزاب وغيرها، أم أن القيادة المسيطرة على القرار لا ترى مناسبا لها دفع عناصر جديدة بنسبة كبيرة إلى مناصب المسؤولية لإبراز قدراتهم، عناصر شابة بإعطائها فرصة البروز السياسي والتواصلي؟ وفي نظرنا لا يمكن تجاوز العقلية التقليدية داخل الأحزاب والتي تؤدي إلى شيخوخة القيادات إلا بتسخير طاقاتها الشبابية.

إحصائيات رسمية تؤكد على نسب ضئيلة للشباب المنخرطين في الأحزاب السياسية والتي لا تتعدى 1 في المئة، بينما لا تتجاوز نسبة الشباب الذين يحضرون الأنشطة الحزبية 4 في المئة. فهل هذا الأمر مرتبط بالعوائق الموضوعة أمام الفئة الشبابية داخل الأحزاب نفسها، أم أن الأمر مرتبط بحالة عزوف الشباب عن العمل السياسي وانخفاض ثقتهم في قيادات الأحزاب التي لا تريد إعطاء الفرصة للوجوه الجديدة خوفا من منافستها على امتيازات المناصب الوزارية والبرلمانية والمراكز القيادية في المؤسسات الأخرى؟

تجديد القيادات الحزبية ودعمها بالعناصر الشابة ليس ترفا بل حاجة ماسة من أجل تحصين العملية الديمقراطية، ووضع حد لتأبيد بعض الوجوه سواء على مستوى التدبير الداخلي للأحزاب أو تلك التي يتم ترشيحها لمناصب داخل الحكومة والبرلمان، دون إهمال تكوين تلك الفئة الشبابية سياسيا وتنظيميا وعلى مستوى التثقيف العام وتعميق المعرفة بالمجتمع وآليات التواصل الجديدة.

المسألة ليست فقط مرتبطة باستقطاب فئة الشباب إلى العمل ضمن تنظيمات سياسية، بل تعزيز وتطوير مكانة التنظيمات الشبابية الموازية للأحزاب السياسية وتفعيل دورها داخل منظومة العمل السياسي بشكل عام.

حرص المشرّع المغربي على تمكين الشباب من الولوج إلى مواقع القرار الحزبي، بل ذهب أبعد من ذلك عندما أصر على أنه يتعين على كل حزب سياسي أن يحدد في نظامه الأساسي نسبة الشباب الواجب إشراكهم في الأجهزة المسيرة للحزب، وطلب تيسير هذه المهمة، وذلك لمعرفته أن هناك عوائق تنظيمية وشخصية تحول دون وصول الشباب إلى مناصب القرار.

دعم الأحزاب المغربية بعناصر شابة لوضع حد لشيخوختها مرتبط في العمق بكيفية استجابة تلك الأحزاب للتحديات المطروحة في السياقات السياسية والتكنولوجية الجديدة والتي ينبغي أن تستجيب لها خدمة للديمقراطية باعتبارها عملية مستمرة وليست هدفًا نهائيًا، وهذا ما دفع العاهل المغربي الملك محمد السادس إلى دعوة الأحزاب السياسية في خطاب العرش سنة 2018 إلى تعبئة الشباب للانخراط في العمل السياسي واستقطاب نخب جديدة.

وهذا الأمر أضحى ضرورة مع التطورات التي يشهدها المجتمع المغربي، فرغم التأكيد بأن الأحزاب السياسية ضرورة كبيرة للعملية الديمقراطية، نشهد مع ذلك فجوة ثقة متنامية بين الأحزاب والمجتمع وخصوصا فئة الشباب، مدفوعة بإحباط المواطنين وقناعتهم أن الأحزاب لا تستجيب لمشاكلهم الأساسية. ويجب على الأحزاب التي ترغب في إعادة بناء المصداقية التكيف مع حاجيات الشباب وتطلعاتهم، ومعالجة بعض التحديات التي تواجهها مع تصاعد حركات المواطنين وتزايد استياء المواطنين من الأحزاب والمعايير السياسية.

إن لتوسيع مشاركة الفئات المهمشة من الشباب داخل الأحزاب السياسية فوائد جمة تنموية وسياسية واجتماعية وأيضا اقتصادية، بما فيها فرص التأثير على خيارات السياسة واختيار القادة السياسيين وإشراكهم والترشح للمناصب الكبرى داخل مؤسسات الدولة، لكن هناك خوفا دفينا عند القيادات المتحكمة في تلك التنظيمات السياسية من أن تسحب الروح الإيجابية للشباب البساط من تحت أقدامها وتفقدها وظائفها داخل الحزب، وهذا يدفعنا إلى التشكيك في حقيقة تدوير النخب وتداولها على المسؤوليات.

ما نحتاجه في المغرب هو أحزاب سياسية نابضة بالحياة وخاضعة للمساءلة وتوفر للمواطن خيارات ذات مغزى وفرصًا للمشاركة السياسية وهذا يمر عبر تمكين الشباب من ممارسة حقهم في العمل السياسي

عزوف الشباب عن العمل السياسي والنقابي قاتل بطيء للديمقراطية، فالأحزاب تعتبر ورشة لصناعة القيادات السياسية، فهذا دورها الذي حدده لها الدستور والقوانين، وتهميش هذه الفئة أو التضييق على أولئك الذين لا زالت لديهم ذرة إيمان بالعمل من داخل المؤسسات الحزبية، له خطورة كبيرة على مستقبل البلد إذا ما سقطت هذه الفئة في حبائل خطابات متطرفة.

ومع قرب الاستحقاقات الانتخابية، الكل يشدد على تعزيز انخراط المواطنين ومنهم فئة الشباب في تدبير الشأن العام، ولهذا اعتبر المرصد المغربي لنبذ الإرهاب والتطرف أن الخيارات الحزبية التي تفضي إلى عزوف الشباب عن الانخراط في الحياة السياسية بسبب تغييبهم على مستوى المسؤوليات داخل الهياكل الحزبية، من شأنها صناعة اليأس بدل النخب.

وأخيرا نحتاج في المغرب إلى أحزاب سياسية نابضة بالحياة وخاضعة للمساءلة وتوفر للمواطن خيارات ذات مغزى وفرصًا للمشاركة السياسية، وهذا يمر عبر شرط تمكين الشباب من ممارسة حقهم في العمل السياسي والمشاركة في القرار الحزبي بكل شفافية وبعيدا عن الريع الحزبي وتقديم الولاء على الكفاءة في إسناد المسؤوليات.